التعليم عن بعد كمعيار لتحسين جودة التعليم العالي

قراءة كرونولوجية لواقع التعليم عن بعد في المنظومة الجامعية الجزائرية

Distance Education As A Standard For Improving The Quality Of Higher Education: A Chronological Reading Of The Reality Of Distance Education In The Algerian University System

حنان شعبان[1]

[1]كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، chabane.hanane@univ-alger3.dz

تاريخ الإرسال: 2021/06/20 تاريخ القبول: 2022/04/12 تاريخ النشر: جوان/2022

الملخص:

تجاهد الجامعات في الوقت الحالي مجبرة لا مخيرة في محاولة منها لتقديم مقررات عن بعد عبر وسائط تكنولوجيا الاتصال الحديثة لتبقى في حلبة المنافسة في ظل فرص تعليمية لم تعد محددة بالحواجز الجغرافية بين الجامعات، لذلك سعت الجزائر ومن باب تحسين جودة التعليم العالي تبني نظام التعليم عن بعد في الجامعة كمعيار لتحسين جودة التعليم العالي باعتباره أحد المجالات الجديدة التي صاحبت تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة، إلى جانب الأخذ به لتقديم التعليم المناسب لاحتياجات قطاع من المتعلمين والراغبين في الالتحاق بالدراسات الجامعية المناسبة لقدراتهم وإمكاناتهم من حيث المكان والزمان المناسب لهم. إضافة إلى مشاركتها في دفع عملية التنمية البشرية والاقتصادية عبر تيسير التعليم العالي للمتعلمين وهذا لا يتحقق إلا من خلال وضع استراتيجية تمكن من تخطيط وتقويم هذا المجال بغية الوصول إلى نتائج ملموسة.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بعد، جودة التعليم العالي، الجامعة الجزائرية.

Abstract:

Universities are currently striving in an attempt to offer distance education courses in light of educational opportunities that are no longer limited by geographical barriers between universities. Therefore, Algeria sought, in order to improve the quality of higher education, to adopt the distance education system at the university and adopt it to provide appropriate education for students. In addition to its participation in advancing the process of human and economic development by facilitating higher education for learners, and this can only be achieved through the development of a strategy that enables planning and evaluating this field in order to reach tangible results.

Key words: Online education, quality higher education, Algerian University.

المؤلف المرسل: حنان شعبان، الإيميل المهني: chabane.hanane@univ-alger3.dz

مقدمة:

نعيش اليوم عصر الثورة المعرفية الذي تتسارع فيه الاكتشافات العلمية والتطورات التكنولوجية التي أثرت في جميع مناحي الحياة؛ وفرضت تحديات جديدة في جميع المجالات من سياسية واقتصادية واجتماعية وتعليمية، لذلك فإن الحديث عن تطوير التعليم حديث ذو أبعاد كثيرة فهو ينطوي على الرغبة الملحة في إرساء دعائم التطور والتحديث والتجديد، وتوفير مقومات الإبداع والابتكار في عالم تتسارع فيه منتجات العقل البشري معرفة وتكنولوجيا، إذ يعرف عصرنا الراهن بعصر الثورة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية، عصر الانفجار المعرفي والتلاحم العضوي بين الحاسبات والعقل البشري، عصر اتساع نطاق العلاقات الدولية المتبادلة ونمو صناعات جديدة تنحصر نشاطاتها في جمع المعلومات و تخزينها واسترجاعها وتوجيه الاستثمار في مجالات المعرفة والبحث العلمي.

إن هذه التغيرات العميقة التي لحقت بكل النظام الدولي وحتى الإقـليمي في المجـالات المختلفة، ربطت التعليم العالي أو الجامعي بالاهتمامات والحاجات اليومية للمواطن والمجتمع مما يتطلب إعادة النظر في وظائف الجامعات وكيفية توفير مخرجات ملائمة لسوق العمل، والتأكيد على تطوير الأداء الجامعي، ونظاما للاعتماد الجامعي بغية ضمان الجودة والتطوير المستمر للنظم الجامعية. وتعتبر عملية التطوير هذه من أهم أهداف إستراتيجية تكنولوجيا المعلومات.[1]

إذن مما سبق ذكره، فإن من أهم المجالات التي تأثرت بشكل فاعل بتطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة هو مجال التعليم العالي والبحث العلمي، حيث يواجه العديد من التحديات التي تحتم التعامل مع هذه التطورات المتسارعة في المجالات المعرفية والتكنولوجية، مما أدى إلى تغير في أدبيات التعليم الجامعي التقليدي لمواكبة هذا التطور الكبير، فظهرت مصطلحات حديثة، مثل المكتبة الإلكترونية وأنظمة إدارة التعلم، الجامعات الإلكترونية، التعليم عن بعد، انطلاقا من هذا، فإن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر تسعى إلى إقامة نظام متكامل لضمان الجودة طبقا للمرجعيات القياسية الدولية وإرساء الخدمة الراشدة للمؤسسات الجامعية بما يمكن من تحسين تصنيف الجامعات الجزائرية على المستوى الإقليمي والدولي. لذلك أصبح إنشاء نظام لضمان جودة التعليم العالي في الجزائر ضرورة حتمية لمواجهة مختلف التحديات والتغيرات المستمرة التي تعرفها الجامعة الجزائرية، والتي يمكن لها أن تنعكس سلبيا على مخرجات التعليم العالي متمثلة في اتساع نطاق العولمة، وتعاظم أعداد الطلبة المسجلين في التعليم العالي، وعدم الانسجام بين مخرجات العملية التعليمية ومتطلبات سوق العمل، ومحدودية التمويل، وعليه يتضح مدى أهمية إدارة الجودة الشاملة، ومدى أهمية تطبيقها في مؤسسات التعليم العالي[2] .فقد سعت الجزائر إلى تبني نظام التعليم عن بعد في الجامعة باعتباره أحد المجالات الجديدة التي صاحبت تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة، إلى جانب الأخذ به لتقديم التعليم المناسب لاحتياجات قطاع من

المتعلمين والراغبين في الالتحاق بالدراسات الجامعية المناسبة لقدراتهم وإمكاناتهم من حيث المكان والزمان المناسب لهم. إضافة إلى مشاركتها في دفع عملية التنمية البشرية والاقتصادية عبر تيسير التعليم العالي للمتعلمين من خلال تطبيق إدارة مفهوم الجودة في أنشطتها المختلفة.[3]

انطلاقا من هذا الطرح، تكمن إشكالية هذه الورقة البحثية في التعرف على آليات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية من خلال التعليم عن بعد وفقا للتساؤل الآتي: [4]

كيف يساهم التعليم عن بعد في تحسين جودة التعليم العالي في الجامعة الجزائرية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، قمنا بتفريعها إلى المحاور الآتية:

- إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي: بحث في المفهوم
- التعلم عن بعد؛ ملامح المستقبل المرسوم بتقنيات الاتصال الحديثة
- المبادئ الأساسية للتعليم الفعال عن بعد
- الجزائر وتجربة التعليم الالكتروني عن بعد: قراءة كرونولوجية
- التعليم عن بعد كمعيار لتحسين جودة التعليم العالي في المنظومة الجامعية الجزائرية

1- إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي: بحث في المفهوم

إن للتعليم العالي أهمية كبيرة على الفرد والمجتمع مما يستدعي ضرورة الحرص على جودته، فالتعليم الجيد يساعد على صقل قدرات الموارد البشرية وإعادة تأهيلها، وهذا بدوره يساعد على تطور المجتمع وتقدمه في كافة المجالات . هذه الأسباب جعلت من تبني أسلوب إدارة الجودة الشاملة في التعليم أسلوبا فعالا للنهوض بمستوى التعليم عامة والتعليم العالي خصوصا،[5] لذلك؛ يعتبر التعليم الجامعي من أهم مراحل التعليم التي تعمل على إعداد الإطارات المؤهلة لقيادة مؤسسات المجتمع، و ركيزة أساسية لتحقيق تنمية شاملة، وهو استثمار في العنصر البشري الذي يعتبر أهم ما يملكه أي مجتمع يسعى للوصول إلى أفضل أهدافه وغاياته، و هذا ما دفع بالمجتمعات المتقدمة منها والنامية على السواء، إلى جعل التعليم الجامعي من أهم أولوياتها، مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق في درجة الاهتمام به، كون الاهتمام بالتعليم الجامعي ليس ترفا فكريا، بل هو ضرورة حتمية وقضية مصير، فالجامعة وسيلة تطوير للمجتمع، من خلال مساعدتها على تكوين النظرة العلمية التي تهيئ الناس لتقبل التغيرات.، فتفعيل دور الجامعة في تحقيق التغيير، يتطلب تطبيق نظام الجودة في التعليم العالي، من أجل ضمان مخرجات مؤهلة قادرة عل قيادة التنمية الشاملة، وبقدر تطور التعليم وارتقائه وتنوع مخرجاته، تنطلق العملية التنموية في أي دولة بقوة صوب التقدم الحضاري، ويتيسر لها الاستغلال الأمثل لمواردها، كما يسمح لها بإثبات ذاتها على الخريطة العالمية. [6].

لذلك تشكل الحاجة لتعزيز جودة التعليم هاجسا للمؤسسات الجامعية، وعند الطلاب والجهات ذات العلاقة بالمجتمع، مما يدفع إلى تشجيع مؤسسات التعليم العالي إلى إعداد نظام داخلي لتحقيق جودة التعليم يعتمد على بنية نظام المؤسسة التعليمية من خلال قدرة مجموع خصائص ومميزات المنتج التعليمي على تلبية متطلبات الطالب وسوق العمل والمجتمع وكافة الجهات الداخلية والخارجية المنتفعة ، ولهذا فهو يتطلب لتحقيقه توجيه كل الموارد البشرية والسياسات والنظم والمناهج والعمليات والبنى التحتية من أجل إيجاد ظروف مواتية للابتكار والإبداع. وهذا لا يتحقق إلا من خلال ما يسمى بإدارة الجودة الشاملة وهذا ما يؤدي بنا إلى تقديم بعض الأدبيات في مفهوم الجودة وإدارة الجودة الشاملة بصفة عامة.

1.1– مدخل مفاهيمي إلى الجودة وإدارة الجودة الشاملة:

إذن؛ تعرف الجودة في التعليم بصفة عامة، بأنها ترجمة احتياجات و توقعات الطلاب إلى خصائص محددة، تكون أساسًا لتعميم الخدمة التعليمية وتقديمها للطلاب بما يوافق تطلعاتهم. ويعني مفهوم إدارة الجودة الشاملة في التعليم بأنه أسلوب متكامل، يطبق في جميع فروع ومستويات المؤسسة التعليمية، ليوفر للأفراد وفرق العمل الفرصة لإرضاء الطلبة والمستفيدين من عملية التعلم، أو هي فعالية تحقيق أفضل خدمات تعليمية بحثية واستشارية، بأرقى الأساليب وأقل التكاليف وأعلى جودة ممكنة. أما جودة التعليم العالي فتعني قدر ة مجموع خصائص ومميزات المنتج التعليمي على تلبية متطلبات الطالب، وسوق العمل و المجتمع وكافة الجهات الداخلية والخارجية المنتفعة، ويتطلب تحقيق جودة التعليم توجيه كل الموارد البشرية والسياسات والنظم والمناهج والعمليات والبنى التحتية، من أجل خلق ظروف مواتية للابتكار والإبداع في ضمان تلبية المنتج التعليمي للمتطلبات التي تمكن الطالب لبلوغ المستوى الذي نسعى جميعًا لبلوغه[7].

وهذا لا يتحقق إلا من خلال إنشاء نظام شامل من المواصفات والمعايير الكفيلة بتحقيق جودة التعليم وتبيان مقدرة كل مؤسسة تعليمية على:

–إعداد منتج تعليمي مطابق للمواصفات والمعايير والمتطلبات التنظيمية والقانونية ، تلك التي يحددها الطالب وسوق العمل والجهات ذات العلاقة.

– تلبية متطلبات جودة التعليم ، وتلبية حاجات سوق العمل ومواكبة تحدياته وكل تقدم في مسيرته من أجل تعزيز رضى المتعلم وسوق العمل والجهات الأخرى ذات العلاقة[8].

مما سبق ذكره، يعد مفهوم إدارة الجودة الشاملة Total quality Management (TQM) فلسفة إدارية عصرية ترتكز على عدد من المفاهيم الإدارية الحديثة الموجهة التي يستند إليها في المزج بين الوسائل الإدارية الأساسية والجهود الابتكارية، وبين المهارات الفنية المتخصصة من أجل الارتقاء بمستوى الأداء والتحسين والتطوير المستمرين، ولا شك في أن مفهوم إدارة الجودة الشاملة يشكل أبرز المفاهيم الإدارية حداثة وعصرية وعلى حد تعبير أحدهم بأنها الموجة الثورية الثالثة بعد الثورة الصناعية وثورة

الحواسيب، هذا المفهوم الذي بدأ تطبيقه في العديد من المنظمات الإدارية لتحسين وتطوير نوعية خدماتها وإنتاجها والمساعدة في مواجهة التحديات الصعبة، وكسب رضا الجمهور، وقد حققت المنظمات الإدارية الحكومية المتقدمة مثل اليابان وبريطانيا وفرنسا ذلك.

2.1- علاقة ثقافة المؤسسة بإدارة الجودة:

إذن، وكنتيجة حتمية ولظروف التغير السريع التي تمر بها كافة القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، برزت الأصوات المنادية بالجودة التعليمية وفعاليتها على غرار القطاعات الأخرى، فكانت نقطة تحول هامة على طريق الإصلاحات التعليمية المرتكزة في أساسها على المبادئ الصحيحة لإدارة الجودة الشاملة من جهة، ومن جهة أخرى فهي مرتكزة على الطاقم أو الفريق المتمتع بخبرة عريضة والذي سيتولى قيادة هذه الحركة وهذا التغيير لتحقيق أهداف تحسين الجودة التعليمية ولا سيما الجامعية منها، ومن هنا فإن التوجه لاستشراف المستقبل يضع العبء الأكبر على مؤسسات التعليم العالي في مواجهة مختلف التحديات.[9] وهذا لا يتحقق إلا من خلال ثقافة المؤسسة على حد قول فليب اتكنسون أن مؤسسات اليوم هي في أمس الحاجة إلى أن تأخذ في اعتبارها القيم الثقافية . لذلك يعد موضوع نشر و تعميم ثقافة الجودة في المؤسسة أمر ا ضروريا نحو بناء و تأسيس نظام جودة فعال يلقى قبول و استجابة كافة الأفراد في المؤسسة. و على هذا الأساس يجب أن تتميز ثقافة المؤسسة لتحقيق مبدأ الجودة بالخصائص التالية:

1- تشجيع العمل الجماعي من خلال تنظيم فرق العمل و حلقات الجودة؛
2- أن يكون لدى كافة العاملين قناعة بأنه لا توجد حالة مثالية أو أداء أمثل يتعين بلوغه، بل العمل على التحسين المستمر لتحقيق التميز؛
3- تشجيع كافة العاملين بالمؤسسة على المشاركة في مناقشة مشاكل العمل؛
4- مواجهة الأخطاء وقت وقوعها[10].

إذن، نتيجة لهذا التداخل بين ثقافة المؤسسة وتحقيق الجودة فإن خلاصة القول فيما يتعلق تعريف إدارة الجودة الشاملة في الجامعة تتحدد من خلال المكونات التالية:

1- النظام: وهو مجموعة من العلاقات المتبادلة للخطط والسياسات والعمليات والأساليب والأفراد والأجهزة اللازمة لتحقيق أهداف الجامعة؛
2- العملية التعليمية: وتشمل السياسات والمناهج والمراحل والحاجات الذاتية التي تستخدم في تحقيق العمليات العلمية، والبحث بصورة متميزة داخل الجامعة وخارجها؛
3- الهيكل الجامعي: ويشمل البناء الإداري والتنظيمي للجامعة الذي يخدم أهداف الجامعة ووظائفها؛
4- الأساليب: وهي مجموعة المناهج النظامية والأساليب المعرفية والتكنولوجيا المتعلقة بها الضرورية
5- للوظيفة التعليمية.[11]

ما نود الخلوص إليه، هو أن الاهتمام بالجودة في التعليم العالي يرجع إلى عدة عوامل لعل أهمها تحديات العولمة في مجال التعليم العالي، والطلب المتزايد على التعليم العالي كأحد مؤشرات النمو الاجتماعي والاقتصادي وتشكل هذه العوامل مصادر ضغط متزايد على التعليم العالي ليتجاوز حدوده القطرية الضيقة، وينفتح على الأساليب الإدارية المتطورة بعيدا عن الأساليب التقليدية القائمة على المركزية، ويواجه المنافسة الشديدة من أجل البقاء التي تفرضها عليه مؤسسات التعليم العالي في البلدان المتقدمة، لذلك أصبح الاهتمام بالجودة النوعية في التعليم العالي واقعا ملموسا في كل البلدان العربية إثر توصية صدرت عن المؤتمر السابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الرياض عام 1999[12].

2- التعلم عن بعد؛ ملامح المستقبل المرسوم بتقنيات الاتصال الحديثة

إن العالم الجديد أو ما يسمى بعالم المعرفة ، يرى في العلم الحديث والسيطرة على أسبابه، وأبعاد علاقاته المتنوعة والتي تشيد على أساسه دعامات حضارته، وترسى به أسس نهضته ومجالات تقدمه، وتصاغ على هدي منه الحلول لمشكلات المجتمع وبالتالي يظهر الدور المتعاظم للجامعات وللمؤسسات البحثية في المجتمعات الصناعية المتقدمة في قيادة حركة التطور في مجتمعاتها، وعملها التنافسي والمستمر من أجل القيام بأدوارها والوفاء بمسئولياتها تجاه مجتمعاتها وذلك من خلال تعظيم العلم الذي تراه الأساس المحوري في صياغة معادلة القوة الدولية، وتشكيل علاقات السيادة والتبعية بين الأمم والدول .وبلوغ هذه المرحلة لا يتسنى إلا من خلال:

- توظيف آفاق وثمار ثورة المعلوماتية في دعم و حماية الأمن الشامل لمجتمعاتها.
- الاستفادة من الطفرة العلمية والتكنولوجية الهائلة في التنمية الشاملة لمجتمعاتها.
- استثمار آفاق وآثار ثورة الاتصالات والتخلي عن الطرق التقليدية لتحقيق وحماية مصالح مجتمعاتها.
- توسيع نطاق التطوير التقني وآفاقه الفنية والتطبيقية بما يتلاءم واحتياجات مجتمعاتها، بما يمكنها من تصدير نموذجها الحضاري والثقافي إلى غيرها من شعوب ومناطق العالم.[13]

انطلاقا من هذه الأسباب لعبت تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تطوير طرق الاتصال ومهاراته لدى المتعلمين مما يشكل رافعة اجتماعية لبناء جسور التفاهم والتواصل، وتعظيم فرص الحوار والتبادل الثقافي والعلمي، فقد أصبح التعليم عن بعد من المجالات التي تهتم بها غالبية الدول نتيجة لما تقدمه من تعليم وتعلم عالي المستوى وكذلك اعتمادها على تكنولوجيا الاتصال الحديثة، إذ تجاهد الجامعات في الوقت الحالي في محاولة منها لتقديم مقررات عن بعد عبر الشبكات لتبقى في حلبة المنافسة في ظل فرص تعليمية لم تعد محددة بالحواجز الجغرافية بين الجامعات مما أدى إلى بروز مفهوم التعليم عن بعد الذي هو عبارة عن تعليم نظامي منظم تتباعد فيه مجموعات التعلم وتستخدم فيه نظم الاتصالات التفاعلية لربط المتعلمين والمصادر التعليمية والمعلمين سويا، أي لابد من توفر المؤسسات النظامية، التباعد بين

المعلم والمتعلم، الاتصال التفاعلي. ويتضمن مفهوم التعليم عن بعد عمليتا التعليم والتعلم عن بعد في آن واحد وهذا ما يقودنا في المحور الثالث للحديث عنه .[14]

1.2- المبادئ الأساسية للتعليم الفعال عن بعد من منظور نظرية التفاعل والاتصال

تقع نظرية التعليم عن بعد التي وضعها هولمبرج والتي يطلق عليها المحادثة التعليمية الإرشادية تحت التصنيف الخاص بنظريات الاتصال، إذ أن أهمية هذه النظرية تكمن في ربط فاعلية التدريس بتأثير الأحاسيس الخاصة بالانتماء والتعاون خصوصا عند تبادل الأسئلة والإجابات والمناقشات عبر وسائط الاتصال المختلفة. وقد قدم هولمبرج سبعة افتراضات أساسية تقوم عليها نظريته:

1- محور التدريس يدور حول طرفي التعليم والتعلم، بمعنى أن التفاعل من خلال المادة العلمية المطروحة في مقرارات معدة سلفا يأخذ دورا كبيرا في عمليات التفاعل وذلك بجعل الطلاب يطرحون وجهات نظر متعددة، وأساليب متنوعة للتفكير، وحلول مختلفة وبالطبع يتفاعلون مع هذه المقررات؛

2- الانخراط الانفعالي في الدراسة، والأحاسيس الخاصة بالعلاقات الشخصية بين طرفي التعليم والتعلم يسهمان في زيادة متعة التعلم؛

3- التمتع بالتعليم يساهم في زيادة دافعية المتعلم؛

4- المشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بالدراسة يمكن أن تدعم دافعية المتعلم؛

5- الدافعية القوية للمتعلم تيسر التعلم؛

6- التعامل بسهولة ويسر مع المادة التعليمية مما يساهم في زيادة متعة التعلم، ودافعية المتعلم للتعلم، وتيسير هذا التعلم من خلال العروض المعدة مسبقا للمقرر(سواء عن طريق التفاعل أحادي الاتجاه أو ثنائي الاتجاه)؛

7- فاعلية التدريس وفقا لأراء المتعلمين بعد تعلمهم من خلال هذه النظم.

انطلاقا من هذه المبادئ فإن التعليم عن بعد قد يدعم دافعية المتعلم، ويعزز متعته في التعلم، ويربط بين فردية المتعلم وذاتيته، وبين حاجاته المختلفة، كما يشكل علاقة متميزة بين المتعلم والمؤسسة التعليمية التي تقدم التعليم عن بعد (معلميها، مستشاريها، مساعديها الفنيين...)[15]

إذن، ينفتح التعليم عن بعد لكل أنماط التعلم بما فيها التعلم السلوكي والمعرفي والبنائي وغيرها من أنماط التعلم، وهو يحتوي على خاصية مصنعة التعليم بما في ذلك: تقسيم العمل، واستخدام الوسائل الميكانيكية والمعالجة الإلكترونية للبيانات والاتصال الجمعي والتي تعمل جميعها على تقديم مقررات سابقة الإعداد.[16]

2.2- الجزائر وتجربة التعليم الالكتروني عن بعد: قراءة كرونولوجية:

تشير التوقعات إلى انتشار نظام التعليم الإلكتروني عبر الشيكات في العديد من دول العالم، نظرا لأهميته التي أكدت عليها العديد من الدراسات الأجنبية والعربية، ولعل تقرير الاتصالات والمعلومات الصادر من اليونسكو عام 2000 قد قدم نظرة متفائلة لاهتمام العديد من الدول والجامعات بالتعليم الإلكتروني، حيث أشار التقرير إلى تجارب كندا في عام 1993، وكوريا في عام 1996 وسنغافورة عام 1993 بالإضافة إلى العديد من جامعات في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والدول العربية، وحددت الأوراق المنشورة في هذا التقرير البدايات الأولى للاهتمام بهذا النظام تمهيدا للانتقال إلى الجامعات الإلكترونية وأصبح هناك العديد من الجامعات تقدم المناهج والمقررات للدراسة من خلال شبكة الأنترنيت[17] أبرزها جامعة جنوب إفريقيا كأول جامعة للتعليم عن بعد، إذ وضعت أسس جديدة لأساليب التعليم عن بعد في جميع أنحاء العالم، كما تأسست أيضا الجامعة المفتوحة في المملكة المتحدة، وذلك عندما قامت بتقديم برامج ومنح درجات علمية للدراسة عن بعد، وهذه الجامعة قامت بإظهار قيمة وأهمية أسلوب التعلم عن بعد مما جعل العديد من المؤسسات التعليمية تحذو حذوها مثل ألمانيا واليابان وكندا ثم بعد ذلك انتشرت في باقي أرجاء المعمورة.[18]

وقد قدم هولمبرج Holmberg عام 1986 عدة أسباب سياسية واقتصادية وتربوية لتواجد جامعات للتعليم عن بعد نوجزها في الآتي:

- الشعور بالحاجة في معظم دول العالم للتوسع في التعليم الجامعي؛
- إدراك أن الكبار ممن يرتبطون بوظائف، أو ممن لديهم مسؤوليات عائلية، أو التزامات اجتماعية يشكلون نسبة كبيرة من الطلاب المتوقع استقبالهم بدون تفرغ؛
- الرغبة في خدمة الأفراد والمجتمعات بتقديم فرص دراسية للكبار من ذوي الظروف المعيقة للدراسة والتعلم؛
- الاحتياج الواضح في عدة مهن للتدريب المستمر على مستويات مهارية أعلى؛
- الرغبة في دعم التطوير الجامعي؛
- الإيمان بجدوى وأهمية الاستخدام الاقتصادي للمصادر التعليمية المختلفة باستخدام هذا الأسلوب من التعليم[19].

مما سبق ذكره، وفي ظل المتغيرات السريعة في مجال التكنولوجيا والظروف المتباينة للسوق يواجه نظام التعليم تحدياً فيما يتعلق بتقديم فرص تعليمية متزايدة بدون الزيادة في الميزانيات ، وتتغلب العديد من المؤسسات التعليمية على هذا التحدي عن طريق تطوير برامج للتعليم عن بعد ، و بشكل مبدئي نقول أن "التعليم عن بعد "عندما يكون هناك مسافة مادية فاصلة بين المعلم والمتعلم ، وتستخدم تكنولوجيا من أجل ملأ الفجوة بين كل من الطرفين بما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجهاً لوجه ، و تستطيع هذه النوعيات

من البرامج أن تقدم فرصة للكبار في طريق التعليم الجامعي، كما يمكن أن تصل هذه البرامج لهؤلاء الذين حرموا من هذه الفرصة التعليمية بسبب ضيق الوقت أو بعد المسافة أو الإعاقة البدنية ، كما تساهم هذه البرامج في تحديث قواعد المعرفة للموظفين في أماكن عملهم[20]

أما الجزائر فقد سعت إلى تبني نظام التعليم عن بعد في الجامعة باعتباره أحد المجالات الجديدة التي صاحبت تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة، إلى جانب الأخذ به لتقديم التعليم المناسب لاحتياجات قطاع من المتعلمين والراغبين في الالتحاق بالدراسات الجامعية المناسبة لقدراتهم وإمكاناتهم من حيث المكان والزمان المناسب لهم. إضافة إلى مشاركتها في دفع عملية التنمية البشرية والاقتصادية عبر تيسير التعليم العالي للمتعلمين[21]

بالنسبة للتجربة الجزائرية في استخدام تكنولوجيا التعليم الالكتروني عن بعد، لازالت في بدايتها وتراوحمكانها، قد يرجع ذلك لغياب الوعي بفعالية هذا النوع من التعليم ومدى مساهمته في رفع المستوى العلمي، والتأهيلي للفرد، رغم ذلك إلا أن التجربة الجزائرية بدأت مبكرة بمحاولة تجربة مؤسسة (EEPAD) وتجربة المركز الوطني للتعليم المهني عن بعد (CNEPD) أول تجربة في ميدان التعليم الافتراضي، والتي لازالت قائمة، تتولى الإشراف عليها جامعة التكوين المتواصل، التي أنشئت موقعا افتراضيا تبث من خلاله دروسا مكملة لطلبتها في بعض التخصصات.

لذلك وقصد تخفيف نقائص التأطير من جهة وأيضا من أجل تحسين نوعية التكوين تماشيا مع متطلبات ضمان النوعية، تم إدخال طرائق جديدة للتكوين والتعليم بالجامعة الجزائرية تتضمن إجراءات بيداغوجية جديدة خلال مسار التكوين، لهذا تم إطلاق المشروع الوطني للتعليم عن بعد والذي يرمي إلى تحقيق أهداف تتوزع على ثلاثة مراحل:[22]

- المرحلة الأولى: وهي مرحلة استعمال التكنولوجيا، المحاضرات المرئية على الخصوص قصد امتصاص الأعداد الكبيرة من المتعلمين، مع تحسين محسوس لمستوى التعليم والتكوين؛
- المرحلة الثانية: تشهد اعتمادا على التكنولوجيات البيداغوجية الحديثة، تعتمد خاصة على الواب وذلك قصد تحقيق ضمان النوعية؛
- المرحلة الثالثة: هي مرحلة التكامل، وخلالها يصادق على نظام التعليم عن بعد ويتم نشره عن طريق التعليم من بعد بواسطة قناة المعرفة.

كما أن واقع التعليم عن بعد في الجامعة الجزائر ية خاصة مع الأوضاع الصحية الأخيرة جراء انتشار فيروس كورونا والذي ألزم توقيف الدراسة الحضورية في مقاعد الدراسة فرض عليها وضع خطة جدية من شأنها الرفع من مستوى التعليم فسعت الجامعة الجزائرية إلى تبنيها لمنصات التعليم الإلكتروني وتكوين هيئة التدريس لضمان بناء وتصميم المقررات بشكل تفاعلي تلبي احتياجات الطلبة وتستجيب لفروقاتهم الفردية وميولاتهم، ليغدوا التعليم عن بعد أحد أولويات الجامعة الجزائرية، ومن أبرز المنصات الموظفة

حاليا في التعليم عن بعد في الجزائر نجد منصة مودل (Moodel)[23] بالإنجليزية هي اختصارا لمصطلح"بيئة التعلم الديناميكي النمطي الموجه" Modular Dynamic learning environment Object-Oriented".[24] التي تعد أرضية للتكوين عن بعد قائمة على تكنولوجيا الويب، وهي بمثابة الساحات التي يتم بواسطتها عرض الأعمال وجميع ما يخص التعليم عن بعد من مقررات ونشاطات يمكن من خلالها تحقيق عملية التعلم باستعمال مجموعة من أدوات الاتصال، فهي بيئة تعلم منظمة في مجموعة[25] خدمات تفاعلية عبر الخط، تسمح للمتعلمين بإمكانية الولوج إلى المعلومات والأدوات والموارد، لتسهيل التعلم و تسييره عبر الإنترنات باعتبارها المحيط الافتراضي للتعلم.[26]

ويمتاز نظام المودل بعدة خصائص،تتدرج في المزايا التي يتيحها و في العيوب التي تحسب عليه أيضا ويمكن إيجازها في النقاط التالية:

1.يعتبر نظاما مفتوحا يستخدم تكنولوجيا الاتصال الحديثة و يتم عن بعد، فهو بذلك يحقق نمط التعليم الإلكتروني و التعليم عن بعد في نفس الوقت.

2.التكلفة المنخفضة نسبيا مقارنة بمثيلاته من أنظمة التعليم الالكتروني.

3.إمكانية تطوير المنصة بما يناسب احتياجات المستخدم، حيث أنها مفتوحة المصدر وقابلة للتطوير والتعديل في أي وقت.

4.نظام الحماية والأمان مرتفع وقوي.

5.يدعم النظام المعيار العالمي لتصميم المقررات الإلكترونية (SCORM)
5.متاح للاستخدام على الهواتف واللوحات الإلكترونية(التابلت).
7.يدعم النظام اكثر من(45) لغة.
8.إمكانية الدمج مع مختلف أنواع الفصول الإفتراضية مثل :Adobe Connect , WizIQ وغيرها
أما بالنسبة للعيوب التي تأخذ على نظام المودل فهي:

يتطلب المزيد من الوقت والجهد للتخصيص والتنفيذ.
يمتاز بالتعقيد، فهناك العديد من المميزات والإعدادات يصعب على الأستاذ الجديد استخدامها .
صعوبة الحصول على دعم للأسئلة أو المشاكل التي تعترض المستخدم.
صعوبة الترقية الى الإصدارات الجديدة حين توجد،ونقصد بذلك أنه لا تتم عملية الترقية كما يجب دائما بسبب ظهور أخطاء في النظام أو عدم اكتمال عملية الترقية.

يحتاج إلى الوقت و الأموال لإصلاح المشاكل الناجمة عنه. [27]

2. 3 التعليم عن بعد كمعيار لتحسين جودة التعليم العالي في المنظومة الجامعية الجزائرية

لقد أصبح إنشاء نظام لضمان جودة التعليم العالي في الجزائر ضرورة حتمية لمواجهة مختلف التحديات والتغيرات المستمرة التي تعرفها الجامعة الجزائرية، والتي يمكن لها أن تنعكس سلبيا على مخرجات التعليم العالي متمثلة في اتساع نطاق العولمة، وتعاظم أعداد الطلبة المسجلين في التعليم العالي، وعدم الانسجام بين مخرجات العملية التعليمية ومتطلبات سوق العمل، ومحدودية التمويل، وانتشار مؤسسات التعليم العالي الخاصة مستقبلا، والتعليم عن بعد، والهموم المرتبطة بنوعية وجودة التعليم، وعليه يتضح مدى أهمية إدارة الجودة الشاملة، ومدى أهمية تطبيقها في المجال التعليمي، ولاسيما في مؤسسات التعليم العالي[28].

لذلك، فإن العناية بالجودة في إطار التعليم عن بعد تقوم على مراحل، أول المراحل تتمثل في اكتساب ثقافة الجودة من خلال فهم تعريفاتها والاقتناع بأهمية اعتمادها بصفة رسمية كمحفز فعال للنهوض بواقع التعليم عن بعد . لذلك يعتبر التعليم عن بعد ذا جودة إذا كانت النتائج الدراسية المحققة جيدة، هذه النظرة للجودة ذات أساس بيداغوجي، كما يمكن اعتبار التعليم عن بعد ذا جودة إذا كانت طريقة تنفيذه ووضعه حيز التنفيذ قائمة على إطار قانوني ومؤسساتي متماسك، هذه النظرة للجودة هي ذات بعد تنفيذي، يمكن أيضا اعتماد نظرة ذات بعد اقتصادي من خلال ربط الجودة بالعلاقة بين التكلفة المادية للتعليم عن بعد بالإفادة المحققة على مستوى التعلم.[29]

فهناك الكثير من العوامل لنجاح تحقيق تنفيذ إطار إدارة الجودة الشاملة في النظم التعليمية، فالعامل الأول هو توفير رؤية واضحة من الإدارة العليا في الجامعات الإلكترونية وأهداف ما بعد التنفيذ، ويجب نشر هذه الأهداف والغايات في جميع مستويات التعليم الجامعي من المجتمع الطلابي إلى أعضاء الهيئة التدريسية مرورا بالهيئة الإدارية، كما ينبغي أن تدرج في إطار التخطيط الاستراتيجي للجامعات، فعملية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم هي عملية طويلة لن تتم إلا بمساهمة كل عضو في نظام البيئة التعليمية، أما عامل النجاح الثاني من التنفيذ الجيد للإطار المقترح هو برمانج إدارة التغيير، حيث أن النظم التعليمية كانت ولا تزال تتطور ببطء على مر السنين، ونتائج بيئة ثابتة، ولتفادي ذلك، يجب تحديد برنامج مناسب وفعال لإدارة التغيير ويجب أن يعتد هذا البرنامج من قبل إدارة الجامعة. وثمة عامل نجاح آخر وهو توفير أدوات قياس فعالة وتقنيات تحليل جيدة، وهذا يشمل وضع التقويم والاختبارات القياسية التي تدعم عملية القياس والتحليل، ويساهم ذلك في تقييم ذلك نقاط القوة وتحديد المجالات التي تحتاج إلى تطوير وتعزيز ونشر الوعي وخلق ثقافة الجودة في النظم والمؤسسات التعليمية[30]

فالتعليم عن بعد يعمل على تحقيق الجودة والمواءمة مع العصر وأن مجتمع المعرفة يتطلب تحويل الجامعات لتصبح وسائل إبداعية لهذا النوع، فالتعليم بالاتصال المباشر يسعى إلى تحفيز عملية التعلم،

تلك العملية التي تؤدي إلى الوصول إلى الأعمدة الأربعة للتربية وهي: تعلم لتكون، تعلم لتعرف، تعلم لتعمل، تعلم لتعيش. [31] وهذا لا يكون إلا من خلال تفعيل التواصل والتفاعل مع المجتمع المحيط بالجامعة الذي يتم من خلال تشكيل لجنة مختصة بهدف التعاون والتنسيق بين الجامعة والمجتمع المحلي، وتتلخص مهام هذه اللجنة في :

- تعريف سوق العمل بالجامعة وببرامجها الدراسية ونظمها الأكاديمية وشهاداتها ومؤهلات وخبرات خريجيها من أجل إيجاد فرص عمل جديدة واستيعاب الخريجين الجدد؛
- العمل على إشراك سوق العمل في تحديد مخرجات العملية التعليمية؛
- تبادل المعرفة والخبرات بين المؤسسات التعليمية ومؤسسات سوق العمل؛
- التنسيق مع مؤسسات العمل لتوفير تدريب مكثف للطلاب خلال دراستهم الأكاديمية مما يسهل انتقالهم اللاحق من المجال الأكاديمي إلى سوق العمل؛
- تشجيع الأعمال البحثية والتطويرية المشتركة بين الأكاديميين والاقتصاديين والصناعيين وتعزيز الثقة في البحث العلمي الجامعي وإيجاد تمويل لمشاريع بحثية لصالح مؤسسات العمل.[32]

خاتمة:

إذن، بهدف مواكبة مختلف التطورات التي تفرضها علينا مختلف السياقات المجتمعية كان لزاما على الجامعة الجزائرية من تبني هذه التغييرات في ميدان التعليم الجامعي خاصة ما تعلق بتطبيق مبدأ إدارة الجودة الشاملة في نظام التعليم عن بعد من خلال تطوير طرق التدريس والتعليم لتتفق مع خصائص التفكير المجتمعي، إذ يعمل التعليم عن بعد على حل العديد من المشكلات والأعباء المتمثلة في عدم قدرة الجامعات على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلبة. كما يساهم التعليم عن بعد أيضا في التوجه نحو اقتصاد المعرفة الذي وفرته المعلوماتية مما يؤدي إلى الاهتمام بالعملية التعليمية بما فيها من مدخلات ومخرجات، فالتعليم عن بعد قد خلق أدوارا جديدة للأستاذ تتمثل في مجموعة من المهارات التي يحتاج إليها وتتعلق خاصة باستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة وفقا لمجموعة من المبررات، فالعالم أصبح بمثابة قرية كونية واحدة مترابطة، كما أن اجتياح العولمة للعالم وآثارها التي لا يمكن الوقوف عندها وإنما يجب مجاراتها وبالتالي ضرورة إعداد الطلبة لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين [33] ومن هنا تأتي ضرورة توعية أفراد المجتمع من خلال وسائل الإعلام لدعم نجاح المشروع وضمان جودة المخرجات الجامعية تعتبر سبب في جعل التعليم عن بعد خيارا مناسبا وجذابا لإثراء فرص التعليم بما يدعمها من قدرات أعلى.[34]

اقتراحات وتوصيات:[35]

- التخطيط السليم والموضوعي يؤدي إلى نجاحه كمنظومة تعليمية متطورة
- استخدام برمجيات حديثة للكشف عن حالات عدم الأمانة العلمية
- تشكيل هيئات ولجان دائمة لتقديم مختلف الاستشارات لهذه العملية
- الأخذ بمعيارية تقويم المتعلمين من حيث التصميم بحيث تتعدد أنواع التقويم وطرقه وسياقاته، وبحيث يتمكن الأستاذ والمؤسسة التعليمية من التأكد من شخصيات المتعلمين عن بعد، وينبغي وضع الأطر القانونية والتشريعية لذلك.

الهوامش:

1- بادي سوهام ، سياسات واستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم ، نحو إستراتيجية وطنية لتوظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم العالي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم المكتبات، جامعة منتوري ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم علم المكتبات ، قسنطينة ، الجزائر، 2004، 2005 ، ص ، ص 96، 97.

2- آمال عبادو، معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة ف مؤسسات التعليم الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس: دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 15، جوان 2015، ص 132.

3- عبد الله حمد محارب، تطوير التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الجامعات العربية ، المؤتمر الرابع عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، الرياض 10- 13 مارس 2014، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 2015، ص 5

4- صفيح صادق ، قرومي حميد ، آليات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي: عرض وتقييم للتجربة اليابانية ، كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، العدد 51، 2017، ص 207

5- أسماء عميرة ، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي: دراسة حالة جامعة جيجل، مذكرة ماجستير في علوم التسيير، جامعة قسنطينة 2، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، الجزائر،2013، ص 52

6 - محمد عوض الترتوري، أغادير عرفات جويحان، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص 42

7 - المرجع نفسه، ص 55

8 - بادي سوهام، مرجع سبق ذكره، ص 123

9 - محمد عوض الترتوري، أغادير عرفات جويحان، مرجع سبق ذكره، ص 73

10- داني الكبير نصيرة، متطلبات تحقيق الجودة الشاملة ومحيط المؤسسات الصناعية الجزائرية، رسالة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس، كلية العلوم الاقتصادية، التجارية وعلوم التسيير، الجزائر، ص 27

11- محمد عوض الترتوري، أغادير عرفات جويحان، مرجع سبق ذكره، ص 78

12- خميس بن حميدة، تقرير عن تطور التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي 1981- 2011، المؤتمر الرابع عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، الرياض 10- 13 مارس 2014، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 2015، ص، ص 179، 180

13- نصر الدين غراف، التعليم الإلكتروني ومستقبل الإصلاحات بالجامعة الجزائرية، مجلة RIST، مج 19، ع 2، ص 65

14- لي آيزر شلوسر، مايكل سيمونسن، التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني، ترجمة نبيل جاد عزمي، مكتبة بيروت، مسقط، ط 2، 2015، ص 2.

15 - المرجع نفسه، ص 23

16 – المرجع نفسه، ص 24
17 – المرجع نفسه، ص، ص 11، 12.
18 – المرجع نفسه، ص، ص 12، 13.
19 – المرجع نفسه، ص، ص 13.
20 – بادي سوهام، مرجع سبق ذكره، ص، ص 54، 55
21 – عبد الله حمد محارب، مرجع سبق ذكره، ص 5
22 – عكنوش نبيل، بن نازير مريم، التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد بالجامعة الجزائرية ، دراسة للواقع في ظل مشروع البرنامج الوطني للتعليم عن بعد، مجلة المكتبات والمعلومات، المجلد 3، العدد 2 ، 2010ص، ص 116، 117
23– سارة تيتيلة ، شهرزاد بوعالية ، لمياء تيتيلة ، تصميم أساليب تقويم التعليم الإلكتروني بالجامعة الجزائرية ، واقع التطبيق ومميزات الاستخدام، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط، المجلد 7، عدد 28 جانفي 2018، ص، ص 65، 66
24 – تيمجغدين عبد الناصر، نظام موودل كألية لضمان جودة التعليم العالي في الجزائر –الواقع والتحديات، أعمال الملتقى الدولي الافتراضي الرقمنة ضمانة لجودة التعليم العالي والبحث العلمي وتحقيق التنمية المستدامة، كلية الحقوق والعلوم السياسية بودواو، الجزائر، 21، 22 فيفري 2021، ص 220
25– سارة تيتيلة ، شهرزاد بوعالية ، لمياء تيتيلة ، مرجع سبق ذكره، ص، ص 65، 66
26– تيمجغدين عبد الناصر، مرجع سبق ذكره، ص 220
27– المرجع نفسه، ص 221
28– آمال عبادو، مرجع سبق ذكره، ص 132.
29– محمد الجمني، ليلى الجمني بن عياد، رمزي فرحات،واقع التعليم الإلكتروني في الوطن العربي وتطويره، المؤتمر الرابع عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، الرياض 10– 13 مارس 2014، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 2015، ،ص 149
30– صلاح عايد الشرهان، التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الوطن العربي: نحو التطوير والإبداع، المؤتمر الرابع عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، الرياض 10– 13 مارس 2014، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 2015، ص، ص 88، 89
31 – سعدية الأحمري، التعليم الإلكتروني، ماجستير تقنيات تعليم، وزارة التربية، 2015، ص50.
32 – محمد فلاق، نظام مقترح لإدارة الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم العالي في الجزائر، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، العدد 7، ص61.
33 – سعدية الأحمري، مرجع سبق ذكره، ص 108.
34 – علي بن شرف الموسوي، التجارب العربية في التعليم المفتوح والتعليم عن بعد،: دراسة مظرية تحليلية، المؤتمر الرابع عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، الرياض 10– 13 مارس 2014، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 2015، ص 22
35 – المرجع نفسه، ص 39